المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها.

مراجع المحاضرة:

- أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر.
- محمد بن القاسم الأنباري: المعلقات السبع.
- محمد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام.
- يوسف خليف: دراسات في الشعر الجاهلي.
- إحسان محمود سليمان: المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)

تعريف المعلقات: تعرف المعلقات على أنها مجموعة من القصائد المنظومة في العصر الجاهلي، ولقد عدت من أجود ما قالته العرب، لذلك احتلت مكانة كبيرة في نفوسهم وأذهانهم.وأطلقوا عليها عدة تسميات منها " المعلقات السبع والمذهبات والسموط " وأما بالنسبة لعددها، فهي سبع معلقات على الأرجح. وهناك من الباحثين من يضيف ثلاث قصائد أخرى.

وأصحاب المعلقات هم: أمرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شداد، لبيد بن ربيعة، طرفة بن العبد، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة.

وأما الثلاثة الآخرون فهم: النابغة الذبياني، الأعشى، عبيد بن الأبرص.

واختلف الباحثون حول حقيقة تسمية المعلقات بهذا الاسم، فانقسموا إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يؤكد أصحابه على أن هذه القصائد الطوال سميت بالمعلقات ، لأنها علقت على أستار الكعبة، ويستندون في رأيهم هذا بأن العرب من عادتهم تعليق الأشياء الهامة على الكعبة. ومن أشهر مؤيدي هذا الاتجاه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد وابن خلدون في مقدمته، والبغدادي في خزانة الأدب.

الاتجاه الثاني: أصحاب هذا الاتجاه أنكروا خبر تعليق هذه القصائد الطوال، واعتبروه غير صحيح، وعللوا سبب تسميتها بالمعلقات لعلوقها في أذهان صغارهم قبل كبارهم ، ولشدة عنايتهم بها، فقد كانت مشهورة ، وتجري بكثرة على أفواه الرواة وأسماع الناس، ومن أنصار هذا الاتجاه ، أبو جعفر النحاس، ونقل عنه أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ، ومن المحدثين مصطفى صادق الرافعي ، وأحمد الحوفي.

1 - **المكان في المقدمات الطللية:**

شكل موضوع الطلل – في الشعر الجاهلي عموما وشعر المعلقات خصوصا – حجر الأساس، إذ لا تكاد تخلو منه واحدة من المطولات. وقد مثلت المقدمة الطللية ظاهرة شعرية متميزة في الشعر الجاهلي، وأسهمت في خلق الشكل الفني الذي يميز معمارية القصيدة الجاهلية. فهل هذه المقدمة شيء متأصل في نفس الشاعر الجاهلي ، بحيث يعيشها أو يعايشها ومن ثم لا يستطيع التخلي عنها في قصيدته أو مطولته التي قد تتفرع إلى مجموعة من الأغراض، أم أنها مجرد سنة فنية لا بد من الاستهلال بها كي لا يخرج الشاعر عن سنن سابقيه من الشعراء ؟

2–1– مفهوم الطلل في المعاجم العربية: تدل كلمة الطلل في لسان العرب، والمعجم الوسيط على ما شخص من آثار الديار، وقيل طلل كل شيء شخصه، والجمع أطلال، وطلل الدار: موضع يهيئ لمجلس أهلها، ويكون بفناء كل بيت مكان عليه المأكل، والمشرب، فذلك المكان هو الطلل. وعليه، يقصد بالطلل؛ جزء معين من الدار. ثم أستخدم الجزء وأريد به الكل.

2–2– مفهوم المكان: المكان: في لسان العرب: الموضع والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع. وفي المعجم الوسيط: المكان: المنزلة يقال: هو رفيع المكان . والموضع. (ج) أمكنة .

قيمة المكان في مقدمات المعلقات الجاهلية:

عني النقاد– قديما وحديثا– عربا ومستشرقين بدراسة المكان في المقدمات الطللية، التي تصدرت الشعر الجاهلي عامة، وشعر المعلقات خاصة، فحاولوا تفسيره، وتبرير ظهوره في مطالع القصائد الجاهلية.

ويعد ابن قتيبة من أوائل النقاد الذين فسروا ظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي، وقد ربطه بالعامل النفسي. وفي ذلك يقول: " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد، إنما ابتدأ فيها الشاعر بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه...."

أما ابن رشيق فرأى أن المقدمة الطللية تعبير عن واقع اجتماعي عاشه العرب، حيث كانوا قديما أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر، لذلك أول ما تبدأ به أشعارهم ذكر الديار.

أما المستشرق براون فيرى أن القطع التي تطالعنا في صدور القصائد، ليست وسيلة إلى غاية أبعد منها، وإنما هي غاية في نفسها. والمقدمة الطللية عنده تخضع لفكرة واحدة هي؛ القضاء والفناء والتناهي. فالشاعر الجاهلي يشعر بتهديد القضاء، فاتخذ من مقدمات قصائده مجالا للتعبير عن هذا الإحساس، وفرصة لتصوير خوفه من مصيره المجهول في هذه الحياة.

كل هذه الآراء مجتمعة حاولت أن تفسر ظاهرة شيوع المقدمة الطللية في معظم القصائد الجاهلية، وقد تراوحت التفاسير بين رأي يرى أن المقدمة الطللية ارتبطت في بدايتها بتلك الظاهرة الطبيعية ، التي خلفها ذلك التفاعل الحتمي بين البيئة والحياة، وهي ظاهرة الحركة، حيث كانت القبائل العربية ترتحل من مكان إلى آخر بحثا عن منابع الماء ، ومواطن الكلئ. ولما وجدت المقدمة الطللية هوى في نفوس الشعراء الجاهليين ، أصبحت تقليدا فنيا ثابتا ، يحرصون عليه في أكثر قصائدهم.

ورأي آخر ربطها بالجانب النفسي. وتبقى المقدمة الطللية مطلعا يحمل على التفسير والتأويل دائما وأبدا.

أسباب ظاهرة الوقوف على الأطلال:

- طبيعة الحياة الجاهلية.
- الارتباط القوي بالمكان.
- دواعي الشوق والحنين.
- التعلق بالمحبوبة
- الفناء والمصير المجهول.